بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 16 -

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ التسليم على سيّدنا وحبيبنا محمّد المصطفى الأمين، وآله وصحبه أجمعين، أرحّب بالأحبّة الكرام، وأحيّيكم بتحية الإسلام:-

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

لا زلنا متشرّفين بالمرحلة الثانية، والحقيقة ظهرت فيها معالم كثيرة، ممكن أنْ تنضوي كجزئيات تحت الكليّات الخمس، أرجو من أحد الحضور الكرام أنْ يذكر لي الكليّات الخمس:-

1- شخصية الداعية.

2- معالم ما يدعو إليه الداعية.

3- المعوّقات التي يحتمل أنْ تظهر أمام الداعية.

4- الوسائل التي يمكن أنْ يتغلّب بها على المعوّقات.

5- الصورة المتكاملة لمرحلة الحياة الدنيا إذا تحقّقت النقاط الأربعة السابقة.

قلت: في بدايات ما أنزل الله سبحانه جزئيات كثيرة تنضوي تحت هذه الكليات الخمس، فلو بقينا متشرّفين بسورة المزمّل مثلا، سنجد جزئيات كثيرة حقيقة، أحببت أتشرّف مرّة أخرى بهذه السورة، وأذكر بعض الجزئيات التي ممكن أنْ تدخل تحت هذه الكليّات الخمس.

يعني مثلا: حينما أتشرّف بقوله عزّ شأنه:-

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} [سورة المزمل: 1]

صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم من ضمن ما يقع في قلبي من معاني، أو من صور، أو من جزئيات كما سمّيتها، أنّ الإسلام يعلّمنا تقييم الناس، يعلّمنا احترام الشخصيات بشكل عام.

فينبغي على الإنسان حينما ينادي على أخيه، أنْ ينادي عليه بأحبّ الأسماء إليه، بأحبّ الصفات إليه، ثمّ يربّينا الإسلام على تعظيم مقام خير الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فربّه جلّ جلاله لا يناديه باسمه، وإنّما يناديه بهذه الصفة، الصفة التي كانت واقع حال لخير الرجال صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في ذلك الزمان.

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}

طيّب، النداء وسيلة من وسائل التنبيه، لاحظوا الآن كم جزئية ذكرت، ممكن أنْ تنضوي هذه الجزئيات تحت بعض الكليات، التي ذكرتها.

يعني مثلا: شخصيّة الداعي، المفروض الداعي تكون له شخصيّة، تكون له مكانة، يكون له تأثير في المجتمع، لذلك حينما يريد سعد الله أَنْ يختار شخصًا ليربيه داعيًا إلى الله تبارك اسمه، فينبغي أنْ يختاره من ذؤابة النّاس، من الأسر التي لها مكانة ومرتبة، هذا لا يعني أنْ يزدري بالآخرين -نعوذ بالله تبارك وتعالى-، أو يحتقرهم، لا، وإنّما هذا هو الأصل، فإنْ لم يجد، ينزل في توجهه هذا نوعا ما، وهذا التوجّه يمدّه بالنور، اختيار الله جلّ وعلا لسيّد الخلق صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم من أشرف النّاس، من أنْفَسِهِمْ، كما قراءة الآية الكريمة:-

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُم ---} [سورة التوبة: 128]

هذه القراءة المعتادة لكن هناك قراءة {مِنْ أَنفَسِكُم} من النفائس، هذا ممكن يدخل في شخصية الداعي، كلما كانت هذه الشخصية لها مكانة ومنزلة في قلوب الناس، فإنّ هذه المكانة ستعزز دعوته، وستعزز مسيرته.

مثلا فيما ندعو إليه كما ذكرت، أَن نُقَيّم النّاس، أَنْ ننزل النّاس منازلهم، إذنْ هذا الدِّين من خصائصه: إنزال الناس منازلهم، لا يصح لك مثلا أنْ تخاطب عالمًا باسمه المجرّد، لا يجوز لك أَنْ تنادي أَباك باسمه المجرّد، وهكذا، لأَنّ هذا سيكون إخلالا بالالتزام بما تدعو إليه، بمواصفات ما تدعو إليه، بالأَحكام التي جاءت في هذا الدِّين، فيما تدعو إليه، وهكذا بشكل سريع، إنْ شاء الله تعالى.

نجد أَنّ المعالم بدأت تظهر في هذه المرحلة في نوع من التفصيل قال الله جلَّ جلاله:-

{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة المزمل: 2]

طيّب، الليل كظرف زماني له شأنه في القيام، له شأنه في العبادة، والآية التي ستأتي فيما بعد:-

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} [سورة المزمل: 6]

في العبادة في جوف الليل، إذنْ هنا ممكن أنْ تجعلها تحت صفة الداعي، الداعي له حظه من الليل، مَنْ لا حظّ له من الليل، لا حظّ له من الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، قال الله جلّ في علاه:-

{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} إذنْ الليل كله، فلذلك لمّا تكون الليالي الشريفة، تُدعى لإحيائها إحياءً كاملا من المغرب إلى الفجر، وحتّى إلى الشروق عند بعضهم، فإذنْ القيام للعبادة بشتى صنوفها، كانت صلاة، كانت وضوءً، كانت ذِكْرًا، كانت تلاوة، إلى آخرها.

الليل أمضى ظرفًا لها، لهذه العبادة، مع العلم أَنّ العبادة في النهار مطلوبة وجائزة، إلى آخرها، لكن أيضًا هناك تفاضل، موضوع التفاضل الله تبارك وتعالى، جعله من مبادئ هذا الدِّين قال الله عزَّ وجلَّ:-

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ---} [سورة البقرة: 253]

وقال سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه:-

(لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ---) الإمام البخاري رحمه الباري جلّ ثناؤه.

وهكذا.

أيضًا ظهر لنا في هذه المرحلة: ضرورة العناية بالقرآن الكريم، مع العلم الذي نزل لحد الآن، هو عبارة عن سورة، أو سورتين، أو ثلاث سور، وآيات قصيرة، لكن هذا تأسيس لبناء أمّة، هذه الأمّة سيكون منهجها مصدرها الأَول القرآن الكريم، فالالتصاق بالقرآن الكريم، التفاعل مع القرآن الكريم، حفظًا، وفهمًا، وتدبّرًا، وتفاعلًا، وتطبيقًا.

كلّ هذه حقيقة، تعبّر عنها كلمة:-

{وَرَتِّلِ} [سورة المزمل: 4]

ما قال تبارك وتعالى:-

{اقْرَأْ} [سورة العلق: 1]

وإنّما قال: رتّل، الترتيل معناه: التنظيم، هو: التنسيق، التفويج، لذلك نحن في مصطلح النّاس، يقال: هذا رتل عسكري، لماذا هذا الاسم: رتل، لماذا لا يسمّوه: موكبا؟ لا، رتل لأنّ فيه مسارًا، هنالك أَقسام، وهذه الأقسام مرتبة، كلّ ما يخطر ببالك من العناية تثوير المعاني، وتلمس المداخل، للدخول إلى الأعماق كلّها، حقيقة لا تعبّر عنها كلمة سوى كلمة {وَرَتِّلِ} وتأكيدًا لذلك قال جلَّ جلاله:-

{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [سورة المزمل: 4]

تأكيدًا لهذا المعنى، فرتّل: أمر، لأنّه فعل، ترتيلًا: مفعول مطلق، هذا المفعول على إطلاقه، حتى تفهم كلّ هذه الجزئيات.

فإذنْ: هنا في هذه المرحلة: العناية بالليل، العناية بالعبادة، العناية بالمصدر الأوّل، المعجزة الكبرى لسيّد الخلق صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، العناية باختيار شخصية الداعي، إنزال النّاس منازلهم، جمال الدِّين، وكمال هذا الدِّين في كلّ هذه الأحكام.

بعد ذلك بيان أنّ حضارة الإسلام لا تقوم على العبادة فقط، العبادة المحضة المتمثلة بالتأمّل، والتدبّر، والذكر، والصلاة، لا، لا بُدّ من حركة، لبناء الحياة، لبناء الحضارة الإنسانية، فأنت خليفة الله تبارك وتعالى في أرضه، هذه تفهمها عندما ظهرت معالمها من قوله تبارك اسمه:-

{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} [سورة المزمل: 7].

لكن إيّاك أنّ هذا السبح الطويل يكون حالك فيه البُعد عن ذكر الله جلّ وعلا، وعن الأصل الذي بدأ من المرحلة الأولى، وسيبقى هذا الأصل إلى نهايات خروج الإنسان من هذه الحياة الدنيا، من هذه المرحلة، ثمّ تبقى أيضًا، ولكن بمواصفات أخرى.

نحن الآن نتحدّث عن دار التكليف، لا نتحدّث عن دار التشريف، ما هو هذا الأصل؟ أصل الروحانية، الروحانية باقية، ونسبها تعلو شيئًا فشيئًا، ولا تقل بينما حركة الحياة.

{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا}

البناء الحضاري، لا، هذا يتأثّر بالظروف نسبة، من حيث ارتفاع النسبة، أو انخفاضها، أو حتى ربّما أَحيانًا التوقّف.

مرّة أحد القادة العسكريين يقيّم أحد الرؤساء الذين ماتوا، ذهبوا إلى رحمة الله تبارك وتعالى، نسأل الله الرحمة لأمواتنا جميعًا، قال فيه مواصفات عظيمة: رجل شجاع، شهم، كريم، الى آخره، لكن المشكلة في العلوم العسكرية لا يؤمن بمبدأ الانسحاب.

هنالك بالعسكرية كرّ وفرّ، هذا الفرّ لا يؤمن به، هذه مشكلة لأنّ هذا الفرّ أحيانًا يكون واجبًا، لأجل إعادة الكرّ، لأجل تنظيم الصفّ مرّة أخرى وترتيبه.

فهنا في حضارة الإسلام، في معالم هذا الدين، لا يجوز لنا أنْ نترك العناية بالسبح بالنّهار، الحركة، فجعل النّهار معاشًا، لكن هذه الحركة قد تعلو نسبتها، قد تنخفض، وأحيانًا قد تتراجع، لِحِكَم يعرفها أهل الخبرة في الحياة، كما قال عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين:-

(أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

انظروا حتّى هذا السبح الطويل ينضبط بالأصل الأصيل، الذي هو أصل الروحانية، جعله بين مَعْلَمين من معالم الروحانية، قبلها تحدّث:-

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}

وبعدها مباشرة قال عزّ من قائل:-

{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [سورة المزمل: 8]

فأيًّا كان تنشغل بالسبح، فتنسى مَنْ يجب عليك أنْ تسبحه، وأنْ تذكره، وأنْ تقوي صلتك به، إذنْ هذه من معالم ما ندعو إليه، وأيضًا من خصائص الداعي، أنّ الداعي لا ينشغل بالسَّبْح عن قوّة صلته بالله جلّ وعلا.

وثمّ التأكيد على أنّ من أعظم الأهداف بعد الإيمان، باعتبار الإيمان هو الأصل الذي نقف عليه، الأرضية التي تقف عليها، النور الذي تكون فيه حتى تنطلق، أنّه أعظم هدف لما ندعو إليه، هو أنْ نكون لله تبارك وتعالى ذاكرين، وفي بدايات ما أنزل أكدّ على هذا الهدف، ومن أوجه التأكيد والعناية بهذا الهدف، ذِكرُه بعض الوسائل لتحقيق هذا الهدف، ومن الوسائل الآن هنا:-

{وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا}

الخلوة، الانقطاع، الخلود إلى النفس، يجب أنْ ترجع إلى نفسك يا سعد الله، تحاسب نفسك.

قبل ساعتين تقريبًا من الآن، أو أكثر صار عندي توجّه أنْ أصلّي الضحى اليوم (12) ركعة، أعلى ما ورد، لأنّه حسب ما أعلم الروايات ذكرت الركعتين، والأربعة، وهكذا إلى (12) ركعة، بنيّة الضحى، بنيّة سنّة الضحى، ما زاد على ذلك يكون تطوّعًا.

وقبل أيّام أجبتُ عن سؤال أحد الأحبة بهذا الخصوص على الموقع الكريم، وأرجو أنْ تراجعوه، وإنْ شاء الله تعالى تكونوا قد راجعتموه، وهذا أملي بكم إنْ شاء الله جلّ وعلا.

المهم عزمت على أنْ أصلّي هذا اليوم الضحى (12) ركعة، بنيّة الضحى، حتى تعرفوا كيف أنّ الدنيا دار ابتلاء واختبار، بمجرّد هذه النيّة صارت في القلب، حتى تعرفوا مع أنّ خادمكم مرشد، الله تبارك وتعالى يبتلي الإنسان مهما كان، في أيّ نقطة كان، في أيّ مرتبة كان.

لاحظتُ نزعة نفسية صارت، ظهرت نفّوسَة -نعوذ بالله تبارك وتعالى منها- تقول: لا، كثير، وأنت ما شاء الله قد عملت كذا، وعملت كذا، فجاء التثبيط، حاليًّا

أنا معي خالتكم، أمّكم، ماذا تسمّونها؟ أم بهاء الدين -الله تعالى يحفظها- تعيش معي، فقط اثنان من الأسرة متواجدان، وإذا الله سبحانه يقدّر، خالتكم، أمّكم، عمّتكم، تريدني في موضوع، يجب أنْ نتناقش فيه، ونتحاور عليه، لنصل فيه إلى نتائج، وهذا الموضوع حقيقة ليس هامشيًّا، موضوع يتعلّق بالدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، لكن هذا ليس وقتها، أنا الآن متفرّغ لأجل هذه العبادة، نويت هذه العبادة، فلاحظوا كيف تظهر أمامك المثبّطات.

الهاتف في هذه الأيام (جزاكم الله تعالى خيرًا) أظنّ أنّكم كلكم ساهمتم في تخفيف عناء الهاتف على خادمكم، من خلال توجيهكم لأحبابكم وأصدقائكم، أنّه ضرورة العناية بصحتي، وأنّ هذا الجهاز يؤذي، كثرة الاتصالات غير الضرورية، كثرة إرسال الرسائل غير الضرورية (جزاكم الله تعالى خيرًا)، وقسم من الأحبّة أنا طلبتُ منهم بشكل شخصي، كلّكم ساهمتم، لكن ما شاء الله تعالى رسالة بعد رسالة، اتصال بعد اتصال، إلى درجة كأنّه صار جنوح، إذنْ أصلّي أربع ركعات، في السجدة الأخيرة من الركعة الرابعة، قلت: يا ربي أنا عبدك الفقير المسكين، أنت وعدت الساجدين بالقرب، وأنا الآن في قربك يقينًا مؤمنًا، لا أستحق هذا، لكنّه كرمك، وإنّك لا تخلف الميعاد، ثمّ أكملت الأربع ركعات، الهاتف سكت بعد هذا التذلل بين يدي الله جلّ جلاله، خالتكم، أمّكم (الله تعالى يحفظها ويطوّل بعمرها ويعطيها العافية مع أمهاتكم، وخالاتكم، وأزواجكم، وأخواتكم، وبناتكم، وبنات المسلمين أجمعين، وأخواتهم، وأمهاتهم) قالت: الآن يكفي هذا تكلّمنا، نكمل الموضوع في غير وقت.

ليس من أدبي مع أسرتي أنْ أقاطعهم، هذه يجب أنْ تعرفوه عنّي، أعطيهم مساحة إلى أنْ يكملوا، مثل ما كان النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام حينما

كان يصافح أحدًا لا يسحب يده الشريفة حتى يكون المصافح هو مَنْ يسحب يده، يجب أنْ نجاهد أنفسنا، ندرّب أنفسنا على الخلق الرفيع.

طيّب، وقمت وقلت: اخرسي أيّتها النفس الأمّارة، وصلّيت (12) ركعة من فضل الله تبارك وتعالى، وهذه (12) ركعة أسأل الله عزَّ وجلَّ أنْ يتقبّلها منّي، وأقدّمها هدية لحضراتكم، ثوابها هدية لمَنْ الآن الحضور الكرام، ولمَنْ يستمع وأسأل الله سبحانه القبول.

إذنْ السَّبح، لأنّ هذا السبح يؤدي إلى تثبيط همّة، يؤدي إلى تعب، يؤدي إلى غفلة، فإيّاك إيّاك أنْ تنشغل وتغفل، فوَضَعَهَا بين هذين المَعْلَمَيْنِ من المعالم، التي تؤكّد قوّة الصلة بالله رب العالمين سبحانه وتعالى.

أنا قلت لكم: إنّي لا أفسِّر الآن، لكن أبيّن بعض المعالم، لا كلّ المعالم، قال الله تعالى:-

{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: 76]

وإنّما أؤكد على ما ينفعنا في الجانب التطبيقي، وينفعنا إنْ شاء الله تعالى في المستقبل القريب، لمّا نويت أنْ أتواصى به مع حضراتكم.

طيّب، بعد ذلك من المعالم في بدايات ما أُنْزِل أنّ الله تبارك اسمه طالبنا بأنْ نتخذ إليه سبيلا، ولكن لم يُكرِهنا على ذلك، وإنّما أوكلها لمشيئة كلّ عبد، عاقل، بالغ، هو يتخذ إلى ربّه سبيلا، إذنْ من معالم الداعي أنْ يتخذ إلى الله سبيلا، قرارًا، قال ربّ العزة والجلال:-

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [سورة الصافات: 99]

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة االعنكبوت: 69]

{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [سورة طه: 84]

كلّهم هكذا، أمّا سيّد الخلق صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم لأنّه قمّة القمم، لأنّه سيّد الرسل، وسيّد الأنبياء، وسيّد الخلق، عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، إلّا هو بأبي، ونفسي، وروحي صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، ربّ العالمين قال له:-

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} [سورة الضحى: 5]

ما قال:-

{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ}

هو ربّ العالمين يسارع في رضوانه، في إبلاغه أنّه هو راضٍ عنه، هذه من خصوصيات الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب.

نحن الآن نريد المعالم، التي تنفعنا، نتفاعل معها، هذه تنفعنا، لأجل أنْ نعتزّ بحبيبنا عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، أنْ نفهم شخصية حبيبنا، جزءً من شخصية حبيبنا صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}

نحن نريد المعالم، التي تظهر في بدايات ما أنزل الله جلّ وعلا، إذنْ الداعي لا بُدّ أنْ يسير إلى الله عزَّ وجلَّ، من صفات ما ندعو إليه، أنّه هذا الدين يدعوك، لأنْ تتخذ إلى الله سبيلا، هذا الدين بيّن لك السبيل، هذا الدين بيّن لك المعوّقات، هنالك مطبّات في الطريق، هنالك تحويلة مؤقتة، هذا الدين يعطيك الوسائل، التي بها تتغلّب على الخطورة في التحويلة.

الآن أنت تمشي في طريق، وفيه تحويلة، ولم يضع لك أي إشارة، أي تحذير، يمكن أنت تسير بسرعة 150، تبقى تمشي بهذه السرعة، وبعدها يحدث قدر -يا ستار-، لكن لو أنّه وضع لك محذّرات، يقول لك فيها: على بعد كذا تحويلة خفّف،

خفّف، ولمّا اقتربتَ وضع لك مطبّات فعندئذٍ رغمًا عنك ستخفّف السرعة، إذا أنت لم تخفف السرعة، ففي أوّل مطبّ تصله سترتفع سيارتك، وتنخفض بشدّة، ثاني مطبّ أكيد تخفّف السرعة، فأعطاك الوسائل، التي بها تنجو من المهالك.

طيّب: هذا سبيل:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

قال: الآن سأريكم نموذجًا لمَن اتخذ إلى الله تعالى سبيلًا، وأنت كن ذكيًّا، حصيفًا، واستخرج الوسائل المُعِينة، واستخرج المعوّقات، وكيف تتغلّب عليها بهذه الوسائل، فذَكَرَ بعد:-

{إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}

مثالا واقعيًّا:-

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}

[سورة المزمّل: 20]

إذنْ: ما كان خادمكم مبتدعًا، لمّا قلت:-

مَنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، لَا حَظَّ لَهُ مِنَ السَّيْرِ، لَا حَظَّ لَهُ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ.

فأوّل مَعْلَم من معالم الذين اتخذوا إلى الله سبيلا، هو قيامهم لليل، وبهذا المقدار الكبير، فهذا يدخل ضمن شخصية الداعي الذي سار إلى الله سبحانه، من وسائل السير إلى الله عزّ شأنه قيام الليل.

طيّب: أيضًا انظروا سبحان الله، في بدايات ما يُنزل ربّ العالمين، لأنّ هذه كلها أصول في الدين، ماذا قال ربّ العالمين جلّ جلاله؟ قال:-

{وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}

إذنْ معيّة المربّي، معيّة المرشد، فأنت تقوم الليل بمفردك؟ لا. حاول أنْ تقوم الليل بحضورك مع إخوتك، مع مربّيك، لا بُدّ أنْ تكون لك معيّة، وإنْ كنت لوحدك من حيث الجسم، لا بُدَّ أنْ تكون لك معيّة روحية، وإذا صارت لك معيّة روحية وجسدية، ضمن الضوابط الشرعية طبعًا، نحن لا نقول اذهب افتح الجامع، ونادي: تعالوا نصلّي التهجّد في الجامع، لا، بهذا الشكل المناداة لها، وتشريعها بشكل عام في الأمّة لا دليل عليه، لكن أنت في البيت، أنت تقعد تصلّي، وتعرف زوجتك، في أيّام طهرها وعبادتها، وهي تستحق تقف معك، تصلّي معك ركعتين، أيقظها تصلّي معك، أو أنْ تتفق معها من البداية.

إذن المسلم لا بُدَّ أنْ يتخذ إلى الله تبارك وتعالى سبيلًا، وجاء النموذج:-

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}

إذنْ: ظهرت معالم شخصية الداعي، أنّه سارع في اتخاذ السبيل إلى الله سبحانه، سارع في الأخذ بالأحكام، التي دعت إليها الشريعة الغرّاء، ومن ضمنها تقوية الصلة بربّ الأرض والسماء جلّ ذكره، وخاصة من خلال ناشئة الليل.

المعيّة إذن، البحث عن الصحبة، البحث عن المربي، التواصل، هذه كلّها من معالم المعيّة، وأعمقها، وأشدّها تأثيرًا، ومنفعة، معيّتك مع المربي، هذا في بدايات ما أنزل، إذنْ هذا يعتبر من روح التشريع، من الأسس في التشريع، بعد ذلك أنتم في هذا المثال الذي ربّ العالمين يذكره لكم أيّها الناس، إنّ ربّ العالمين عزّ شأنه يقدّر لكم هذا العمل. فلمّا قال:-

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} بلفظ {رَبَّكَ يَعْلَمُ} ولم يقل: إنّ الله يعلم، أو الكريم يعلم، لا، قال: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} أي: أنتم بهذا العمل تستحقون كلّ ما يثري جانبكم التربوي، الجانب التربوي في إيمانكم، في يقينكم، في استحقاقكم للأجر من الله سبحانه.

إذن: هنا يبيّن لك هذا الدِّين، يوضّح لك علاقتك بالله تبارك وتعالى فهي علاقة عطاء، وكرم، وجود، وفضل، وإكرام، واطلاع على أنّ الله جلّ جلاله لا تخفى عليه خافية، من حاجاتك أيّها العبد السائر إلى الله جلّ ذكره فجاءه التيسير والتخفيف:-

{وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [سورة المزمل: 20]

يعني لا حرج عليكم إذا لم تقوموا نصف الليل، أو لم تقوموا ثلث الليل، إحصاء هذا ليس أمرًا سهلا، فأنا قد خفّفت عليكم:-

{عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ} [سورة المزمل: 20]

أحوالكم لا تخفى عليه، وكلّما كنتم في حال، شرع لذلك الحال ما يلائمه، وما يقوّمه، وما يخفّف على العبد فيه.

طيّب: هذه هي تقوية الصلة بالله جلّ وعلا، لكن حتى لا تغفل أيّها الداعي إلى الله سبحانه بأنّ تقوية الصلة لا تكون فقط من خلال الشعائر التعبدّية، بل هذه التقوية وسائلها تكون عامّة بالشعائر التعبدية، وفي الحركات المجتمعية النافعة سواء كانت وظيفية، أو كانت تطوعية، هذه أيضًا تعزّز مكانتك عند الله جلّ في علاه، وهذه أيضًا من مواصفاتك، أيضًا أنت كداعٍ إلى الله عزَّ وجلَّ، وهذه أيضًا من معالم ما تدعو إليه، وبالتالي إذا جاءتك المعوّقات، إنْ كانت هذه المعوّقات ممكن أنْ تخفّف أنت من لأوائها وقسوتها، فينبغي عليك أنْ تأخذ بالوسائل التي تخفّف، وإن كانت خارجة عن نطاقك وعن قدرتك، فإنّ ربّك سبحانه لا يغفل عنك، في هذه الحالة سيأتيك التخفيف في الشرع، ويأتيك رفع الحرج.

طيّب: حتى لا تنشغل، وتقول: والله هو هذا الأصل في الدِّين أنني أنا أُقوّي صلتي بالله ربّ العالمين عزّ شأنه، ولا أنظر إلى بقيّة معالم الدِّين، لا، أدخَلَ لك هنا السَّبْحَ في الأرض، ولكن بمعنى آخر، أو بأسلوب آخر:-

{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ} [سورة المزمل: 20]

حقيقة وقفت أمام كلمة {يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ} معظم المفسرين يقولون: {يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ} يعني: يسافرون، لكن لماذا لم يقل الله عزّ وجلّ يسافرون؟ هذا قرآن كريم {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ} لا، يريد أنْ يبيّن مَعْلَم من معالم الداعي إلى الله عزَّ وجلّ بأنّه شخصية ضاربة.

معنى الشخصية الضاربة، أي أنّ له بصماتٍ عميقةً، أنّ له جهدًا كبيرًا وقويًّا في اقتحام المداخل، واستثمار الفرص، والدخول فيها، يضربون في الأرض، لأجل استنباتها، لا فقط لأجل السير عليها، نعم السير عليها يعتبر ضربًا في الأرض، ولكن أيضًا لمّا آخذ المعول، وأَضْرِب الأرض، وأضرب الأرض، لأجل أنْ أقلبها، لأجل أنْ أستثيرها، لأجل أنْ أنمّيها، وأضرب في الأرض من ناحية أنّه أستثمر ما فيها من طاقات.

هذه كلّها من شخصية الداعي، وكلّها من معالم ما ندعوا إليه، فلاحظوا كيف يأتي بموضوع العناية في تعمير الأرض، في ظِلال الكلام، في عمق الكلام عن قوة الصلة بالعليم العلام سبحانه، هذا في بداية ما أنزل.

نحن لم نذهب إلى قوله تعالى:

{تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}

[سورة السجدة: 16]

أنا أفهم من الآية الكريمة: بعض الناس لمّا يسمعون تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يقولون: والله هؤلاء مساكين يحيون الليل، وبالتالي بالنّهار ينامون ويشخرون، لا، ختم الآية المباركة فقال:-

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}

أنّه هم أهل أعمال، لذلك عندهم إنفاق، وعندهم صدقات، وعندهم تبرّعات، فلو أنّهم كانوا نائمين نهارًا، لأنّهم يحيون الليل بالطاعات، فمن أين لهم هذه النفقات؟ هنا نفس الشيء أنت تقوم {أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ} إذنْ هذا جهد عظيم في الليل، كيف أنت ستتحرك في السبح، في النهار، لا، قال لك أنت ليس فقط تتحرّك في النهار، وإنّما تضرب:-

{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [سورة ص: 42]

اضرب: هكذا بقوّة وشدّة، فلا بُدَّ أنَّك في البناء الحضاري، في نقل الخير إلى الغير، في هداياتك للخلق، في التماس فضل الله جلّ في علاه وابتغاء فضل الله عزَّ وجلَّ ينبغي عليك أنْ تكون قويًّا، أنْ تكون ثابتًا، أنْ تكون شديدًا، لذلك، والله أعلم أتى بلفظ (يضربون)، وما أتى بلفظ (يسافرون).

فإذنْ هذه المرحلة الثانية، معالم ظهرت كثيرة في تقوية الصلة بالله تبارك وتعالى، في بيان ما ندعوا إليه، معرفة ما ندعوا إليه أساسان عظيمان، ركنان ركينان، لا يجوز أنْ نحيد عنهما، هما تقوية الصلة بالله سبحانه وترك الأثر في البناء الحضاري، تقديم الخير للغير، أنْ نتألّق بدون أي ارتباطات بشروط.

هنا حينما تحدّث عن الزكاة، لم تكن الزكاة مفروضة بأنصبتها، لمّا يتحدّث عن القرض، لم تكن هنالك نسبة محددة، لم يكن أقرض الله قرضًا بمائة دينار، لا،

قرضًا حسنًا، الحسن الجمال، التقديم للنفس في هذه الدنيا، أنت لم يُحرِّم الله عزَّ وجلَّ عليك الطيّبات:-

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [سورة الأعراف: 32]

نفسك راحتها وسعادتها، فمن سعادة المرء حسن مركبه، سعة داره، هيئته الجميلة:-

(إِنَّ اللهَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ ثناؤه.

إذنْ هذان المَعْلَمَان تقوية الصلة بالله تبارك وتعالى، وتقديم الخير للغير، معلمان مهمّان، يأخذ كلٌّ واحد منهما برقبة الآخر، يتفاعل بعضهما مع الآخر، مع ضربك في الأرض، لا تنسَ واجبك، لا تنسَ صلتك بالله تقدّست أسماؤه، مع قيامك بالليل لا تنسَ ضربك في الأرض، لا تنسَ أنْ تكون من الذين يقرضون الله تعالى قرضًا حسنًا، وحتى يتأكّد هذا التصوّر، نرى ربّ العالمين يربط الأمر بالدار الآخرة، ثمّ يشدّد على قوّة الصلة بالخالق الغفور الرحيم، أنت في الدار الآخرة تذهب إلى رب غفور رحيم، أنت هذا عملك الذي تقوم به، مع أنّه مضني، مع أنّه شاق.

يعني: تأملوا شخص يقيم نصف الليل، ويذهب يضرب في الأرض في النهار، ما هذه الشخصية اللامعة، ما هذه الشخصية المتقدة، ما هذه الشخصية المثابرة، أين هذا ممّن ينامون إلى صلاة الظهر، وهم لم يقيموا الليل أصلا، فإذنْ من خلال هذه السورة، تلاحظون هذه المعالم.

لمّا تذهب تمشي مع الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، خاصة في مجال التأثير والدعوة، تجد أنّه بعد التحرّي والتثبّت، من أنّه هذا هو سيّدنا جبريل عليه السلام، وأنّه هو رسول إلى العالمين عليه الصلاة والتسليم

وآله وصحبه أجمعين، ظهرت الدعوة إلى الله سبحانه، وأقول ظهرت، وأؤكّد على هذا، وأناقش إنْ شاء الله تعالى كلّ مَنْ يسألني عن سرّية الدعوة في اللقاءات الأخيرة، لا زلت مصرًّا على هذا، أنّه الدعوة معلنة، لكن أستطيع أنْ أقول إنّها فردية، دعوة فردية، ما وضع له منبرًا، ونادى على الناس أنّه هو رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، هي الدعوة الفردية، لكن ليست سرية، ليس هنالك تنظيم سري، وإنّما بيان أنّه هو رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه.

أنّه هذه أحوال جاءت إليه، هذه هي الأحوال الجديدة، يا ورقة -رضي الله تعالى عنك- هذا الذي حصل، يا صديقي يا أبا بكر هذا الذي حصل معي -رضي الله تعالى عنه-.

وسبحان الله دائمًا الداعي إلى الله عزَّ وجلَّ لمّا يكون صادقًا مع نفسه، صادقًا مع ربّه جلّ وعلا، صادقًا مع مربّيه، مع نبيّه صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، قبل المربّي يوفق مباشرة:-

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة العنكبوت: 69].

ففي هذه المرحلة إلى أنْ جاءت مرحلة الدعوة الجماعية، يعني الله أعلم، ليس أقلّ من ستة أشهر، وعند بعض أهل العلم، ربّما يوصلون هذه الفترة إلى ثلاث سنوات، نرى ظهرت صور بديعة في الدعوة إلى الله تبارك اسمه، وظهرت معوقات، وظهرت سبل لتذليل هذه المعوقات، والغلبة عليها.

أنت مثلا لمّا ترى سيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول، تحدّث لهؤلاء عمّا حصل له وتثبّت، آمنوا به مباشرة، ربّ العالمين سبحانه أعطاه، ووهبه، ومنحه ما يذلّل بعض الصعوبات، من المحتمل أنّ حال

النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، في ذلك الوقت لا يستطيع أنْ يستقبل المؤمنين في داره، هي دار أمّنا سيّدتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وعنكم، فهيئ الله عزّ شأنه له دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله تعالى عنه وعنكم.

طيّب: بعض المؤمنين لمّا آمنوا اكتشفوا أهاليهم، أو عشائرهم، أو ساداتهم، وخاصة بالنسبة للعبيد، مثل سيّدنا بلال رضي الله تعالى عنه، أو مثل سيّدنا عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وأسرته، وغيرهم، تعرّضوا للأذى والتعذيب، من هؤلاء المستغنين كما سمّاهم القرآن الكريم:-

{كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَنْ رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ} [سورة العلق: 6]

هؤلاء الطغاة، لكن ربّ العالمين هيّئ سيّدنا الصديق رضي الله تعالى عنه، فبدأ يشتري هذا العبد ويعتقه ويخلصه، وبدأ يشتري هذه، وهكذا، ويُسكت هذا بماله، إذن: هذه المرحلة ربّ العالمين من ناحية عملية يجسّد لكم أيّها الدعاة أنّكم إنْ صدقتم مع الله سبحانه، في التعامل مع الله عزَّ وجلَّ فإنّ الله تعالى يهيئ لكم ما تذللون به المصاعب والمتاعب، وما تخففون به الآلام، لكن نسبة لا بُدَّ أنْ تبقى، وتصيب النّاس حسب إيمانهم وتقواهم، سئل عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام:-

(أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ جلاله.

لماذا؟ ليتميز دار التكليف عن دار التشريف، فهذه المرحلة حقيقة إلى مرحلة:-

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [سورة الحجر: 94]

إلى مرحلة الدعوة الجماعية كما أسمّيها، هذه الفترة لا تقِل عن ستة أشهر، وفي بعض الأقوال تزيد وتربو إلى ثلاث سنين، صار فيها الحصار على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، صارت فيها كتابة الوثيقة، وثيقة المقاطعة.

أيضًا هنا ربّ العالمين يريد أنْ يبيّن لنا مبدأ:-

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [سورة الشرح: 5]

إمّا بقدر إلهي، ربّ العالمين يخفف، ويوطد، ويمهد للتخفيف، أو بفعل فاعل، إمّا هو مثلا ينبري تعبيرًا عن رجولته وشهامته، تعبيرًا عن تقييمه لهؤلاء المعذّبين، لهؤلاء المحاصرين، لأنّهم لا يستحقون هذا، لأنّهم علية القوم، لأنّهم يصلون الرحم، لأنّهم يحملون الكَّل، إلى آخره.

لا أذكر لكم كلّ الجزئيات، الحمد لله كلّكم علماء وطلبة علم، اذهبوا اقرؤا سيرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم باستفاضة، انظروا ما الذي حصل لكن في ظلّ هذه الهدايات، أنّه أنت فقط تمسّك بالله تبارك وتعالى بصدق، نعم، هنالك معوقات أمامك، ولكن الله عزَّ وجلّ سيعينك على التغلّب عليها، فتؤجر في الحالين، في حالة أنْ تكون مغلوبًا، أو تكون غالبًا، في كلا الحالين:-

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [سورة التوبة: 52]

{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [سورة التوبة: 51]

فكلّ ما يصيبك من شيء، وأنت متشبث بالله جلّ وعلا، صادق مع الله سبحانه، فهذا الشيء لصالحك، لذلك قال الله تعالى:-

{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

إذنْ: هي كلّها مكتوبة لنا، بالتالي نفعه لنا، لماذا؟ لأننا متمسكون بالله جلّ في علاه متوجهون إلى الله عزَّ وجلَّ.

هذا ما أردتُّ أنْ أختم به الكلام عن هذه المرحلة، ممكن من السور التي في هذه المرحلة ننظر إليها ونتبارك بها، مثلا سورة الفاتحة باعتبار أنّه هنا كلام عن الصلاة، ربّما تكون سورة الفاتحة هي أكيد من أوائل ما نزل، لكن بعد أيّ سورة نزلت؟ ليس لنا دليل قاطع على ذلك، لكن نحن كما ذكرت خدم لهذه الشريعة الغرّاء، نريد أنْ نفهم أنّ لنا منهجًا واضحًا نسير عليه، من نقاط مختصرة كما بيّنت إنْ شاء الله، نختصرها بإذن الله تبارك وتعالى بصدقكم، ثمّ دعواتكم وجهودكم، أرى أنّ التأمّل في سورة الفاتحة في هذه المرحلة أيضًا أمر ضروري، فلذلك في اللقاء القادم إنْ شاء الله تعالى، سنتبارك بسورة الفاتحة، ومن ثمّ إذا لقاء واحد كان كافيًا، سوف ننتقل إلى المرحلة الثالثة، مرحلة الدعوة الجماعية إلى هجرة خير البرية صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

بارك الله تعالى ونفع فيكم، ونور قلوبكم، وهداكم إلى الصراط المستقيم، معنى وهداكم إلى الصراط المستقيم، يعني: ثبّتكم، الحمد لله أنتم على الصراط المستقيم، ثبّتنا جميعًا على الصراط المستقيم، تقبّل الله سبحانه منّا ومنكم صالح الأعمال، أستودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمه الله تعالى وبركاته.